غزوة بدر الكبرى

ثم إن رسول الله (ص) سمع بأبي سفيان بن حرب مقبلا من الشام في عير لقريش عظيمة ، فيها أموال لقريش ، وتجارة من تجاراتهم ، وفيها ثلاثون رجلا من قريش أو أربعون ، منهم : مخرمة بن نوفل، وعمرو بن العاص . فندب المسلمين اليهم وقال : هذه عير قريش فيها اموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ينفلكموها . فانتدب الناس ، فخف بعضهم وثقل بعضهم ، وذلك انهم لم يظنوا أن رسول الله (ص) يلقى حربا .

وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الاخبار ، ويسأل من لقي من الركبان ، تخوفا على أمر الناس ، حتى أصاب خبرا من بعض الركبان : أن محمدا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك ! فحذر عن ذلك ، فاستأجر ضمضم بن

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتي قريشا فيستنفرهم الى أموالهم، ويخبرهم أن محمدا قد عرض لها في أصحابه ، فخرج ضمضم بن عمرو سريعا الى مكة .

وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا أفزعتها ، فبعثت الى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له : يا أخي ، والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني ، وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة ، فاكتم عني ما أحدثك به . فقال لها : وما رأيت ؟ قالت: رأيت راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالابطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يا لغُدُر لمصارعكم في ثلاث ! فأرى الناس اجتمعوا اليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره [1] على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها : ألا انفروا يالغدر لمصارعكم في ثلاث ! ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها ، فأقبلت تهوى ، حتى اذا كانت بأسفل الجبل ارفضت [2] فما بيت من بيوت مكة ولا دار الا دخلتها منها فلقة !

قال العباس : والله إن هذه لرؤيا ! وأنت فاكتميها ولا تذكريها لأحد .
ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة ، وكان له صديقا، فذكرها له ، واستكتمه اياها ، فذكرها الوليد لابيه عتبة ، ففشا الحديث بمكة حتى تحدثت به قريش في أنديتها .

قال العباس : فغدوت لأطوف بالبيت ، وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة ، فلما رآني ابو جهل قال : يا أبا الفضل ، اذا فرغت من طوافك فأقبل الينا . فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم

---

(١) مثل به : قام .
(٢) ارفضت : تفرقت وتفتتت .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقال لي أبو جهل : يا بني عبد المطلب ، متى حدثت فيكم هذه النبية ؟ قلت: وما ذاك ! قال : تلك الرؤيا التي رأت عاتكة . فقلت : وما رأت ؟ قال : يا بني عبد المطلب ، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ! قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاث . فسنتربص بكم هذه الثلاث ، فان يك حقا ما تقول فسيكون ، وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتابا أنكم أكذب أهل بيت في العرب .

قال العباس : فوالله ما كان مني اليه كبير ، الا أني جحدت ذلك ، وأنكرت أن تكون رأت شيئا ، ثم تفرقنا ، فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب الا اتتني فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غير[1] لشيء مما سمعت ! قلت : قد والله فعلت ، ما كان مني اليه من كبير ، وايم الله لا تعرضن له فان عاد لأكفينكنه .

فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب أرى أني قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه . فدخلت المسجد فرأيت ، فوالله اني لامشي نحوه اتعرضه ليعود لبعض ما قال فأقع به — وكان رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر — اذ خرج نحو باب المسجد يشتد ، فقلت في نفسي : ما له لعنه الله ، أكل هذا فرقٌ مني ان اشاتمه ؟ واذا هو قد سمع ما لم اسمع : صوت ضمضم بن عمرو الغفاري وهو يصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره ، قد جدع بعيره [2] وحوّل رحله ، وشق قميصه وهو يقول : يا معشر قريش : اللطيمة اللطيمة ! أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه لا ارى أن تدركوها ! الغوث الغوث !

---

(١) الغير : الغيرة .

(٢) جدعه : قطع انفه .

ممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

فشغلني عنه ، وشغله عني ما جاء من الأمر .

وتجهز الناس سراعا وقالوا : أيظن محمد وأصحابه أن نكون كعمرو ابن الحضرمي [1] كلا والله ليعلمن غير ذلك ! فكانوا بين رجلين : اما خارج واما باعث مكانه رجلا وأوعبت [2] قريش ، فلم يتخلف من أشرافها أحد ، الا أن أبا لهب بن عبد المطلب تخلف وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة ، وكان قد لاط له [3] بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ، أفلس بها ، فاستأجره بها على أن يجزيء عنه .

وأن أمية بن خلف كان أجمع القعود ، وكان شيخاً جليلا جسيما ثقيلا ، فأتاه عقبة بن أبي معيط ، وهو جالس في المسجد بين ظهراني قومه ، بمجمرة يحملها فيها نار ومجمر [4] حتى وضعها بين يديه ثم قال : يا أبا علي ، استجمر ، فانما أنت من النساء قال : قبحك الله وقبح ما جئت به ! ثم تجهز فخرج مع الناس .

ولما فرغوا من جهازهم واجمعوا المسير ذكروا ما كان بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة من الحرب فقالوا : انا نخشى أن يأتونا من خلفنا ، فكاد ذلك يثنيهم ، فتبدى لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي فقال لهم : انا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه . فخرجوا سراعا .

وخرج رسول الله (ص) في ليال مضت من شهر رمضان ، في أصحابه

---

(١) هو عمرو بن الحضرمي الذي قتل في سرية عبدالله بن جحش انظر ما سبق في صفحة ١٣٧ .

(٢) اوعبت : خرجت كلها لتغزو .

(٣) لاط : احتبس وامتسك

(٤) المجمر : العود يتبخر به .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اللهم فنصرك الذي وعدتني ، اللهم أحنهم الغداة [1] !

فلما نزل الناس قبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله (ص)، فيهم حكيم بن حزام ، فقال رسول الله (ص) : دعوهم . فما شرب منه رجل يومئذ إلا قتل ، الا ما كان من حكيم بن حزام ، فانه لم يقتل ، ثم أسلم بعد ذلك فحسن اسلامه ، فكان اذا اجتهد في يمينه قال : لا والذي نجاني من يوم بدر !

ولما اطمأن القوم بعثوا عمير بن وهب الجمحي فقالوا : احزر [2] لنا أصحاب محمد . فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع اليهم فقال : ثلاثمئة رجل يزيدون قليلا أو ينقصون ، ولكن امهلوني حتى أنظر أللقوم كمين أو مدد ؟ فضرب في الوادي حتى أبعد ، فلم ير شيئا ، فرجع اليهم فقال : ما وجدت شيئا . ولكني قد رأيت يا معشر قريش البلايا [3] تحمل المنايا ، نواضحَ يثرب تحمل الموت الناقع [4] ، قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلا منكم ، فاذا أصابو منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم . فلما سمع حكيم ابن حزام ذلك مشى في الناس ، فأتى عتبة بن ربيعة فقال : يا أبا الوليد ، انك كبير قريش وسيدها ، والمطاع فيها ، هل لك ألا تزال تذكر فيها بخير الى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي [5] قال : قد فعلت ، أنت علي بذلك ، انما هو

---

(١) أحنهم : أهلكهم . حان : هلك .

(٢) احزر : اي قدر بالحدس والظن .

(٣) البلايا : جمع بلية ، وهي الناقة او الدابة تربط الى قبر الميت فلا تعلف ولا تسقي حتى تموت .

(٤) النواضح : الابل يستقى عليها . الناقع : الثابت ، البالغ في الاقناء .

(٥) انظر ما مضى في سرية عبدالله بن جحش ص ١٣٧ .

ممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

حليفي فعلي عقلهُ [1] وما اصيب من ماله فأتِ ابن الحنظلية[2] فاني لاأخشى أن يشجر أمر الناس [3] غيره . ثم قامَ عتبة بن ربيعة خطيباً فقال يامعشر قريش ، انكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمدا واصحابه شيئا ، والله لئن اصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر اليه ، قتل ابن عمه أو ابن خاله او رجلا من عشيرته ، فارجعوا وخلوا بين محمد وسائر العرب ، فان أصابوه فذاك الذي أردتم وان كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون .

قال حكيم : فانطلقت حتى جئت أبا جهل فوجدته قد نثل [4] درعا له من جرابها فهو يهنؤها [5] ، فقلت له يا ابا الحكم ، ان عتبة أرسلني اليك بكذا وكذا للذي قال . فقال : انتفخ والله سَحْره [6] حين رأى محمدا واصحابه ، كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعتبة ما قال ، ولكنه قد رأى ان محمدا واصحابه اكلَمَة جزور [7] وفيهم ابنه ، فقد تخوّفكم عليه . ثم بعث الى عامر بن الحضرمي فقال : هذا حليفك يريد ان يرجع بالناس ، وقد رأيت ثأرك بعينك ، فقم فانشد خفرتك [8] ومقتل أخيك .

فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ : واعمراه واعمراه [9] !

---

(١) العقل : الدية .
(٢) هو أبو جهل بن هشام . امه من حنظلة بن مالك .
(٣) اي يخالف بينهم .
(٤) نثل : اخرج . ويروى « بيضها » .
(٥) يهنؤها : يطليها بمكر الزيت . وهذا كناية عن الجبن .
(٦) السحر : الرئة . وهذا كناية عن الجبن .
(٧) اي قليلو العدد . واكلة الجزور نحو المئة .
(٨) اي اطلب من قريش الوفاء بخفرتهم لك اي عهدهم ، فقد كان جار فهم وحليفا .
(٩) ينادي اخاه عمرو بن الحضرمي .

ممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

فحميت الحرب ، وحقب أمر الناس [1] ، واستوسقوا [2] على ما هم عليه من الشر ، وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم اليه عتبة .

وقد خرج الاسود بن عبد الاسد المخزومي وكان رجلا شرسا سيء الخلق — فقال : اعاهد الله لأشربن من حوضهم او لأهدمنه او لأموتن دونه ! فلما خرج ، خرج اليه حمزة بن عبد المطلب ، فلما التقيا ضربه حمزة فأطن [3] قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تشخب [4] رجله دما نحو أصحابه ثم حبا الى الحوض حتى اقتحم فيه يريد ان يبر بيمينه واتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض .

ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة ، بين اخيه شيبة وابنه الوليد بن عتبة ، حتى اذا فصل من الصف دعا الى المبارزة ، فخرج اليه فتية من الانصار ثلاثة ، وهم عوف ومعوذ ابنا الحارث ، ورجل آخر يقال هو عبدالله بن رواحة ، فقالوا : من انتم فقالوا رهط من الانصار قالوا : ما لنا بكم من حاجة . ثم نادى مناديهم : يا محمد ، اخرج الينا اكفاءنا من قومنا . فقال رسول الله (ص) : قم يا عبيدة بن الحارث وقم يا حمزة ، وقم يا علي . فلما قاموا ودنوا منهم قالوا : من انتم ؟ قال عبيدة : عبيدة . وقال حمزة : حمزة . وقال علي : علي . قالوا : نعم اكفاء كرام .

فبارز عبيدة — وكان اسن القوم — عتبة بن ربيعة ، وبارز حمزة شيبة بن ربيعة ، وبارز علي الوليد بن عتبة ، فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله ، واما علي فلم يمهل الوليد أن قتله ، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما

---

(١) حقب : اشتد .
(٢) استوسقوا : اجتمعوا .
(٣) اطنها : اطارها .
(٤) تشخب : تسيل بصوت .

ممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

اثبت صاحبه [1] ، وكرّ حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة فذففنا عليه [2] واحتملا صاحبهما فحازاه الى أصحابه .

ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض ، وقد امر رسول الله (ص) أصحابه ألا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال : إن اكتنفكم القوم فانضحوهم [3] عنكم بالنبل . ورسول الله (ص) في العريش معه أبو بكر الصديق .

فكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان .

ثم عدّل رسول الله (ص) الصفوف ورجع الى العريش ، فدخله ومعه أبو بكر الصديق ، ليس معه غيره ، ورسول الله (ص) يناشد ربه ما وعده من النصر ، ويقول فيما يقول : اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد ! وأبو بكر يقول : يا نبي الله ، بعض مناشدتك ربّك ، فإن الله منجز لك ما وعدك .

وقد خفق رسول الله خفقة [4] وهو في العريش ، ثم انتبه فقال : أبشر يا أبا بكر . أتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده ، على ثناياه النقع [5] .

ثم خرج رسول الله (ص) فحرضهم وقال : والذي نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً ، مقبلا غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة . فقال عمير بن الحُمام ، أخو بني سلمة ، وفي يده تمرات يأكلهن : بخ

---

(١) اثبته : جرحه جراحة لم يقم معها .
(٢) ذفف عليه : اجهز واسرع
(٣) انضحوهم : ارموهم .
(٤) اي نام نومه يسيرة .
(٥) النقع : الغبار .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بخ [1] . أفما بيني وبين أن ادخل الجنـــة الا أن يقتلني هؤلاء ! ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل .

ثم إن رسول الله (ص) أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل قريشا بهـا ثم قال : شاهت الوجوه ! ثم نفحهم بهـا ، وأمر اصحابه فقال : شدوا ! فكانت الهزيمة . فقتل من قتل من صناديد قريش ، وأسر من أسر من أشرافهم .

عن ابن عباس أن النبي (ص) قال لأصحابه يومئذ : اني قد عرفت أن رجالا من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً ، لا حاجة لهم بقتالنـا ، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله ومن لقي أبا البختري بن هشـام بن الحارث بن أسد فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله ، فإنه انمـا أخرج مستكرهاً . فقال أبو حذيفة : أنقتل آباءنا وأبناءنا واخوتنـا وعشيرتنا ونترك العباس ! والله لئن لقيته لألجمنه السيف [2] ! فبلغت رسول الله (ص) فقال لعمر بن الخطاب: يا أبا حفص، أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف ؟ فقال عمر : يا رسول الله دعني فلأضرب عنقه بالسيف فوالله لقد نافق . فكان أبو حذيفة يقول : ما أنا بآمنٍ من تلك الكلمة التي قلت يومئذ، ولا أزال منها خائفاً الا أن تكفرها عني الشهادة ! فقتل يوم اليمامة شهيداً .

ولم تقاتل الملائكة في يوم سوى بدر من الأيام ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً ومدداً ، لا يَضربون .

فلما فرغ رسول الله (ص) من عدوه أمر بأبي جهل أن يلتمس في القتلى قال ابن مسعود : احتززت رأسه ثم جئت بـــه رسول الله (ص) فقلت :

---

(١) كلمة تقال عند الاعجاب .

(٢) اي لامكنن منه السيف ، ويروى «لالجمنه» اي لاضربنه به في وجهه .

ممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

يا رسول الله، هذا رأس عدو الله أبي جهل . فقال رسول الله (ص): آلله[1] الذي لا إله غيره ؟ — قال : وكان يمين رسول الله (ص) — قلت : نعم والله الذي لا إله غيره . ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله (ص) فحمد الله .

ولما أمر رسول الله (ص) أن يطرحوا في القليب طرحوا ، الا ما كان من أمية بن خلف ، فإنه انتفخ في درعه فملأها ، فذهبوا ليحركوه فتزايل[2] لحمه فأقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة . فلما ألقاهم في القليب وقف رسول الله (ص) فسمعه أصحابه من جوف الليل وهو يقول : يا أهل القليب ، يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ، ويا أمية بن خلف ، ويا أبا جهل — فعدد من كان منهم في القليب — هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً؟ فقال المسلمون : يا رسول الله ، أتنادي قوماً قد جيفوا ؟ قال : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني !

ثم إن رسول الله (ص) أمر بما في العسكر ، مما جمع الناس فجمع ، فاختلف المسلمون فيه ، فقال من جمعه : هو لنا ، وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ويطلبونه والله لولا نحن ما أصبتموه ، لنحن شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما اصبتم ، وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله (ص) مخافة أن يخالف اليه العدو : والله ما أنتم بأحق منا ، والله لقد رأينا أن نقتل العدو اذ منحنا الله تعالى أكتافه ، ولقد رأينا ان نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه ، ولكنا خفنا على رسول الله (ص) كرّة العدو ففمنا دونه ، فما أنتم بأحق به منا .

ثم بعث رسول الله (ص) عند الفتح عبد الله بن رواحة بشيراً الى أهل

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner